القصيدة المُضَرِيَّة

في

الصلاة على خير البَرِيَّة

للإمام
شرف الدين أبي عبد الله محمَّد بن سعيد
البوصيري المالكي الشاذلي

إصدار

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم – فلسطين

ترجمة موجزة للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمَّد بن سعيد الصَّنهاجي البوصيري المالكي الشاذلي رحمه الله تعالى

اسمه وكنيته:

هو الإمام الصوفي، والشاعر الأديب، سيدي شرف الدين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد حمَّاد بن محسن الصَّنهاجي البوصيري المالكي الشاذلي، والبوصيري نسبة إلى بلدته أبو صِير بين الفيوم وبني سويف بصعيد مصر.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله تعالى في أول شهر شوال عام 608 هجري الموافق مارس 1213 رومي ببلدة دلاص، حيث نشأت أُمُّه، وشبَّ في أبو صِير، وكان منها أبوه، ولذلك انتسب إليها فصار يعرف بـ "البوصيري"، وينتمي أسلافه إلى فرعٍ من قبيلة صنهاجه من بلاد المغرب، وقد نزحوا منها لمصر واستقروا بها.

انتقل رحمه الله تعالى من بلدته أبو صِير في صباه واستقر بالقاهرة، وقد كان رحمه الله تعالى فقيرًا، ولكنه كان يُحسن الكتابة وله خطٌّ جميل، فاشتغل فترةً في كتابة شواهد القبور، ثمَّ التحق بوظيفة كاتب للحسابات بمدينة بلبيس بالشرقية، وهناك أمضى بضع سنوات في الوظيفة، لكنه لاقى منها الكثير من المتاعب، وقد صوَّر بعض ما رآه فيها من انحرافات ووشايات واستغلال للسلطة في بعض أشعاره، وقد غادر رحمه الله تعالى الشرقية عائدًا إلى القاهرة، وافتتح بالقاهرة كُتَّابًا لتعليم الأطفال، ولكنه عانى أيضًا في هذا الكُتَّاب وسطَّر هذا في شعره أيضًا، وقصد أخيرًا الإسكندرية واستوطن بها حتى آخر حياته، وقد عاصر في حياته عددًا من سلاطين المماليك كالظاهر بيبرس.

دراسته:

تلقى رحمه الله تعالى في زيارته الأولى للقاهرة بعض العلوم الشرعية واللغوية في أحد مساجدها الصغيرة، وفي الإسكندرية تعرَّف رحمه الله تعالى على شيخ الإسكندرية وعالمها الجليل سيدي أبي العباس المرسي الشاذلي رحمه الله تعالى، ولازمه وأقبل على طريقته الصوفيَّة وتتلمذ على يديه صُحبة الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى.

مؤلفاته:

انكب رحمه الله تعالى على قراءة السيرة النبوية الشريفة، ومعرفة أخبار ومواقف الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ثم انطلق يُنشد العديد من القصائد المميَّزة، والتي تجلى فيها حُبُّه لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ذلك قصيدته "الكواكب الدُرية في مدح خير البرية" الشهيرة بـ "البردة"، ويروى أنَّه سماها بـ "البردة" لأنه كان مريضًا بالفالج فرأى النبي صلي الله عليه وآله وسلم وقد حنا عليه وغطَّاه ببردته أو عباءته، فشُفِيَ بعدها وبرأ من مرضه.

وله رحمه الله تعالى القصيدة "الهمزية"، والتي لا تقل في روعتها عن "البردة"، ويقول فيها:

كيف ترقَى رُقِيَّك الأَنبياءُ يا سماءً ما طاوَلَتْها سماءُ

وقد عارض رحمه الله تعالى قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، ومن أبياتها:

إلى متى أنتَ باللَّذاتِ مَشغُولُ وَأنتَ عن كلِّ ما قَدَّمْتَ مَسؤُولُ

في كلِّ يَوْمٍ تُرَجِّي أن تتوب غدا وَعَقدُ عَزمِكَ بالتَّسوِيفِ مَحْلُولُ

وله رحمه الله تعالى أيضًا القصيدة "المُضرية في الصلاة على خير البريَّة"، والقصيدة "المُحمَّدية"، ولامية في الردِّ على اليهود والنصارى بعنوان: "المخرج والمردود على النصارى واليهود"، وقد ترك رحمه الله تعالى إرثًا قيِّمًا للأجيال اللاحقة، تمثل في عددٍ كبيرٍ من القصائد، والتي ضمَّها ديوانه الشعري.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى بالإسكندرية عام 694 هجري الموافق 1295 رومي، ودفن بجوار مسجد شيخه الإمام أبي العباس المرسي رحمه الله تعالى.

رحمه الله رحمة واسعة، وألحقنا به، ونفعنا ببركاته وأسراره

اللهم آمين آمين آمين

القَصِيدَةُ المُضَرِيَّةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ

يـا ربِّ صَـلِّ علـى الـمُخْتَارِ مِـنْ مُضَـرٍ وَالأَنْبِيَـا وَجَمِيـعِ الرُّسْـلِ مَـا ذُكِـرُوا

وصَـلِّ رَبِّ عَلَـى الهـادِي وشِيعَتِـهِ وَصَـحْبِهِ مَـنْ لِطَـيِّ الـدِّينِ قـد نَشَـرُوا

وَجَاهَـدُوا مَعَـهُ فِي اللهِ وَاجْتَهَـدُوا وَهَـاجَرُوا وَلَـهُ آوَوْا وَقَـدْ نَصَـرُوا

وَبَيَّنُـوا الفَـرْضَ وَالـمَسْنُونَ واعْتَصَـبُوا للهِ وَاعْتَصَمُـوا بِـاللهِ فَانْتَصَـرُوا

أَزْكَـى صَـلَاةٍ وَأَنْمَـاهَا وَأَشْرَفَهَـا يُعَطِّـرُ الكَـوْنَ رَيَّـا نَشْـرُهَا العَطِـرُ

مَعْبُوقَـةً بِعَبِيـقِ المِسْـكِ زَاكِيَـةً مِـنْ طِيبِهَـا أَرَجُ الرِّضْـوَانِ يَنْتَشِـرُ

عَـدَّ الحَصَـى والثَّـرَى وَالرَّمْـلِ يَتْبَعُهَـا نَجْـمُ السَّـمَا وَنَبَـاتُ الأَرْضِ وَالْمَـدَرُ

وَعَـدَّ وَزْنِ مَثَاقِيـلِ الجِبَـالَ كَمَـا يَلِيـهِ قَطْـرُ جَمِيـعِ المـاءِ وَالمطَـرُ

وَعَـدَّ مَـا حَـوَتْ الأَشْـجَارُ مِـنْ وَرَقٍ وَكُـلِّ حَـرْفٍ غَـدَا يُتْلَـى وَيَسْتَطِـرُ

وَالـوَحْشُ وَالطَّـيْرِ وَالأَسْمَـاكِ مَـعْ نَعَـمٍ يَلِـيهِمُ الجِـنُّ وَالأَمْـلَاكُ وَالبَشَـرُ

وَالـذَّرُ وَالنَّمْـلُ مَـعْ جَمْـعِ الحُبُـوبِ كَـذَا وَالشَّـعْرُ وَالصُّـوفُ وَالأَرْيَـاشُ وَالـوَبَرُ

وَمَـا أَحَـاطَ بِـهِ العِلْـمُ المُحِيـطُ وَمَـا جَـرَى بِـهِ القَلَـمُ المأْمُـورُ وَالقَـدَرُ

وَعَـدَّ نَعْمَائِـكَ الـلَاتِي مَنَنْـتَ بِهَـا عَلَـى الخَلَائِـقِ مُـذْ كَـانُوا وُمُـذْ حُشِـرُوا

وَعَـدَّ مِقْـدَارِهِ السَّـامِي الـذِّي شَرُفَـتْ بِـهِ النَّبِيُّـونَ وَالأَمْـلَاكُ وَافْتَخَـرُوا

وَعَـدَّ مَـا كَـانَ فِي الأَكْـوَانِ يَـا سَنَـدِي ... وَمَـا يَكُـونُ إِلَى أَنْ تُبْعَـثَ الصُّـوَرُ

فِي كُـلّ طَرْفَـةِ عَـيْنٍ يَطْرِفُـونَ بِهَـا ... أَهْـلُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِـينَ أَوْ يَـذَرُوا

مِـلْءَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِـينَ مَـعْ جَبَـلٍ ... وَالفَـرْشُ وَالعَـرْشُ وَالكُرْسِـي وَمَـا حَصَـرُوا

مَـا أَعْـدَمَ اللهُ مَوْجُـودًا وَأَوْجَـدَ مَعْـ ... ـدُومًا صَـلَاةً دَوَامًـا لَـيْسَ تَنْحَصِـرُ

تَسْـتَغْرِقُ العَـدَّ مَـعْ جَمْـعِ الدُّهُورِ كَمَـا ... تُحِيـطُ بِالحَـدِّ لَا تُبْقِـي وَلَا تَـذَرُ

لَا غَايَـةً وَانْتِهَـاءً يَـا عَظِيـمُ لَهَـا ... وَلَا لَهَـا أَمَـدٌ يُقْضَـى فَيُعْتَبَـرُ

وَعَـدَّ أَضْـعَافِ مَـا قَـدْ مَـرَّ مِـنْ عَـدَدٍ ... مَـعْ ضِـعْفِ أَضْعَافِـهِ يَـا مَـنْ لَـهُ القَـدَرُ

كَمَـا تُحِـبُّ وَتَرْضَـى سَيِّـدِي وَكَمَـا ... أَمَرْتَنَـا أَنْ نُصَـلِّي أَنْـتَ مُقْتَـدِرُ

مَـعَ السَّـلَامِ كَمَـا قَـدْ مَـرَّ مِـنْ عَـدَدٍ ... رَبِّي وَضَـاعِفْهُمَا وَالفَضْـلُ مُنْتَشِـرُ

وَكُـلُّ ذَلِـكَ مَضْـرُوبٌ بِحَقِّـكَ فِـي ... أَنْفَـاسِ خَلْقِـكَ إِنْ قَلُّـوا وَإِنْ كَثُـرُوا

يَـا رَبِّ وَاغْفِـرْ لِقَارِيهَـا وَسَامِعِهَـا ... وَالمُسْلِمِيـنَ جَمِيعًـا أَيْنَمَـا حَضَـرُوا

وَوَالِدِينَـا وَأَهْلِينَـا وَجِيرَتِنَـا ... وَكُلُّنَـا سَيِّـدِي لِلْعَفْـوِ مُفْتَقِـرُ

وَقَـدْ أَتَيْـتُ ذُنُوبًـا لَا عِـدَادَ لَهَـا ... لَكِـنَّ عَفْـوَكَ لَا يُبْقِـي وَلَا يَـذَرُ

وَالهَـمُّ عَـنْ كُـلِّ مَـا أَبْغِيـهِ أَشْغَلَـنِي ... وَقَـدْ أَتَـى خَاضِعًا وَالقَلْـبُ مُنْكَسِـرُ

أَرْجُـوكَ يَـا رَبِّ فِي الـدَّارَيْنِ تَرْحَمُنَـا ... بِجَـاهِ مَـنْ فِي يَدَيْـهِ سَبَّـحَ الحَجَـرُ

يَـــا رَبِّ أَعْظِـــمْ لَنَـــا أَجْـــرًا وَمَغْفِـــرَةً فَـــإِنَّ جُـــودَكَ بَحْـــرٌ لَـــيْسَ يَنْحَصِـــرُ

وَاقْـــضِ دُيُونًـــا لَهَـــا الأَخْـــلَاقُ ضَـــائِقَةٌ وَفَـــرِّجْ الكَـــرْبَ عَنَّـــا أَنْـــتَ مُقْتَـــدِرُ

وَكُـــنْ لَطِيفًـــا بِنَـــا فِي كُـــلِّ نَازِلَـــةٍ لُطْفًـــا جَمِـــيلًا بِـــهِ الأَهْـــوَالُ تَنْحَسِـــرُ

بِالْمُصْـطَفَى الْمُجْتَـبَى خَـيْرِ الأَنَـامِ وَمَـنْ جَلَالَـــةً نَزَلَـــتْ فِي مَـــدْحِهِ السُّـــورُ

ثُمَّ الصَّـــلَاةُ عَلَـــى المخْتَـــارِ مَـــا طَلَعَـــتْ شَمْـــسُ النَّهَـــارِ وَمَـــا قَـــدْ شَعْشَـــعَ القَمَـــرُ

ثُمَّ الرِّضَـــا عَـــنْ أَبِي بَكْـــرٍ خَلِيفَتِـــهِ مَـــنْ قَـــامَ مِـــنْ بَعْـــدِهِ لِلدِّيـــنِ يِنْتَصِـــرُ

وَعَـــنْ أَبِي حَفْـــصٍ الفَـــارُوقِ صَاحِبِـــهِ مَـــنْ قَـــوْلُهُ الفَصْـــلُ فِي أَحْكَامِـــهِ عُمَـــرُ

وَجُـــدْ لِعُثْمَـــانَ ذِي النُّـــورَيْنِ مَـــنْ كَمُلَـــتْ لَـــهُ المحَاسِـــنُ فِي الـــدَّارَيْنِ وَالظَّفَـــرُ

كَـــذَا عَلِـــيٍّ مَـــعَ ابْنَيْـــهِ وَأُمِّهِمَـــا أَهْـــلُ العَبَـــاءِ كَمَـــا قَـــدْ جَـــاءَنَا الخَبَـــرُ

سَعْـــدٌ سَـــعِيدُ ابْـــنُ عَـــوْفٍ طَلْحَـــةٌ وَأَبُـــو عُبَيْـــدَةٍ وَزُبَيْـــرٌ سَـــادَةٌ غُـــرَرُ

وَحَمْـــزَةٌ وَكَـــذَا العَبَّـــاسُ سَيِّدُنَـــا وَنَجْلُـــهُ الحَبْـــرُ مَـــنْ زَالَـــتْ بِـــهِ الغِيَـــرُ

والآلُ وَالصَّحْـــبُ وَالأَتْبَـــاعُ قَاطِبَـــةً مَـــا جَـــنَّ لَيْـــلُ الـــدَيَاجِي أَوْ بَـــدَا السَّحَـــرُ

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

آل البيت - فلسطين

المركز الوطني للبحوث والدراسات

غزة - فلسطين

تلفون: 0097282820422

فاكس: 0097282820433

جوال: 00972599603197

بريد إلكتروني: info@alalbait.ps

موقع إلكتروني: www.alalbait.ps